مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتورة نادرة جميل السراج

عقد في القاهرة فيما بين السادس والحادي عشر من مايو ١٩٧٢ مؤتمر « الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة » الذي دعت له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية. وقد لبى دعوة المنظمة حوالي خمسة وسبعين عضوا من اثنتي عشرة دولة عربية . وقد اختلفت صفات الحاضرين ما بين ممثلين رسميين للحكومات او مندوبين منتخبين من الجمعيات والاتحادات الادبية والفكرية ومجالس الفنون والاداب والمجامع اللغوية ، بالاضافة الى المدعوين بصفة شخصية . ويعتبر هذا المؤتمر استكمالا للمؤتمر السابق الذي عقدته المنظمة عن « الاصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة » والحلقة التي عقدتها ايضا عن « المأثورات الشعبية في الوطن العربي » .

شمل جدول اعمال المؤتمر خمسة موضوعات رئيسية هي : الاسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة، المنهج الاقليمي في دراسة تاريخ الادب العربي (عرض وتقديم) ، الفصحى واللهجات المحلية واثرهما في قيمة الثقافة العربية ومحليتها ، وسائل توثيق الروابط بين المثقفين وتيسير تداول الانتاج الثقافي في اقطار الوطن العربي ، النصوص والمواد المختلفة للانتاج الفكري المتكامل بين قومية الثقافة ومحليتها . وقد بحثت الموضوعات الاربعة الاولى في جلسات عامة وجرى النقاش حولها ومنه استخلصت النتائج والتوصيات التي اقرها المؤتمر في جلسته الختامية . أما الموضوع الخامس فقد تفرعت عنه لجنتان رئيسيتان ، بحثت اولاهما : الشعر والقصة والرواية بين القومية والمحلية . وبحثت اللجنة الثانية موضوعات : المسرحية ، والاغنية ، ونصوص الاذاعتين المسموعة والمرئية (التليفزيون) بين القومية والمحلية .

والواقع ان مسألة الفصحى والعامية قد اخذت شوطا كبيرا من النقاش وتبادل الرأي وبالتالي أهمية خاصة عند اصدار التوصيات في الجلسات التي عقدتها اللجنتان المذكورتان وفي الجلسات العامة كذلك . فنجد اللجنة الاولى تقر في النهاية بأن أداة التعبير في الشعر وكذلك في القصة والرواية هي اللغة العربية الفصحى ، خاصة ان اللغة العربية تعتبر عند جميع الباحثين في القومية العربية وفي الوحدة العربية العنصر الاول والاساس من عوامل وحدة العرب وقوميتهم، وكلنا نعلم كيف حاول المستعمر ان يطمس اللغة العربية باحلال لغته محلها ، وكيف عمل على ترويج اللهجات العامية بهدف تشتيت ابناء العروبة والمباعدة بين اقطارهم وتصعيب التفاهم بينهم ، حتى لقد ذهب بعض الغلاة من المستشرقين والمغرضين منهم مثل « ولكوكس » الى ان « أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو انهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ، وانهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لاعان ذلك على ايجاد ملكة الابتكار وتنميتها» كما كتبت د. نفوسة زكريا سعيد في بحثها المقدم عن جامعة الاسكندرية . وبناء على ذلك فقد اتفق اعضاء اللجنة على استبعاد النقاش حول ما عرف بالشعر العامي او الشعر الشعبي (أي المكتوب باللهجة المحلية لكل بلد عربي) وانما اكتفت كاتبة هذا التقرير بذكر مثل او نموذج له من خلال مطالعتها لمجموعة صدرت اخيرا للمناضل الفلسطيني «أبو الصادق» تحت عنوان «ثوريات». وذلك في بحثها الذي قدمته للمؤتمر بعنوان : « الشعر العربي المعاصر بين القومية والمحلية » . وكان من الطبيعي ان يشمل البحث المذكور مدخلا مناسبا في مفهوم القومية العربية والعوامل التي تؤلف الوحدة العربية من لغة مشتركة ، وتاريخ مشترك ، وبقعة جغرافية واحدة ، ومصالح عربية مشتركة ومتبادلة ، وبالتالي نفس الامال والمطامح المشتركة المتطلعة الى غد افضل . واوضح البحث أن شعراء العروبة في مختلف اقطارهم لم يغفلوا أهمية هذه العوامل ، بل نادوا بها ودعوا من أجلها . فعل ذلك احمد شوقي وحافظ ابراهيم والرصافي والزهاوى وخليل مردم وبشارة الخوري وبدوي الجبل وابو الفضل الوليد والياس فرحات والشاعر القروي وفوزي المعلوف وغيرهم ، ثم فعل ذلك الجيل التالي من الشعراء بأسلوبهم الخاص بعدما عاصروا الازمات الحالية والمعارك والانتكاسات وشعروا بأهمية الوحدة وضياع الانسان العربي لو طغى عنصر الاقليمية وعمت بواعث التفرقة .